

الشيوعي اللبناني المحسود على «تعتيره»

محمد نزال

كان الراحل غسان تويني يصف شيعة لبنان بـ«طائفة الشهادة». كان ذلك في معرض المدح. كرزها أكثر من مناسبة، إلا أن أكثرها رسوخاً في الذاكرة كان قبل 20 عاماً، إثر استشهاد هادي حسن نصر الله في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي. لم يكن وصفاً عابراً، والواصف، أيضاً، ليس عابراً، أما الموصوفون فيحسدون اليوم على ما أنجزوه بفعل حبل استشهادهم المتصل. هناك من يحسد الشيوعي اللبناني هذه الأيام، الشيوعي العادي، الفرد، مع كل إنجاز وطني يحققه حزب الله. ثمة اختلاف على توصيف «الوطني» هنا. لا بأس. الحزب الذي أصبح، أراد أم لم يُرد، رافعة الشيعة في لبنان... والخارج (إلى حد ما). ثمة موجة حسد، أخيراً، بعد تحريره أراضي عرسال اللبنانية من تنظيم القاعدة. يُترجم هذا حالياً بمقالات «الخوف الاستراتيجي» على الصيغة اللبنانية، مع تصوير الشيعة كجماعة بشرية على أنهم فزاعة، وبالتالي لا بد من التصدي لهم. في مواضع أخرى يُرجم ذلك الحسد بـ«التنكيت» على الحزب وبيئته، بل على الشيعة عموماً، كمزاج «يكشف ولا يجرح». ما المزاج، غالباً، إلا وسيلة مبتكرة

لقول «الحقائق»، إنما بطرق غير مباشرة. على مدى أكثر من ثلاثة عقود كان الفرد الشيوعي، وإن لم يكن متحرّياً، وإن كان علمانياً مثلاً، بل حتى مخالفاً للحزبية الشيعة (حزب الله وحركة أمل)... يُشعر بأن أفراد الطوائف الأخرى، في لبنان، ينظرون إليه بعين الحسد. بعين الغيرة. يُشعر بهذا مع أصدقائه، في الشارع، في وسائل الإعلام، مع زملائه في العمل، حتى وإن كان عمله جلي الصحون في فندق يملكه فري من طائفة أخرى. كانت مظاهر هذه الحالة تتراكم مع كل إنجاز «شيوعي». أن تُقاوم الإسرائيلي المُجمَع، أقلّه في القانون، على عداوته. أن تفوز بلقب «مُحرّر الجنوب». أن تقف في وجه الآلة العسكرية الإسرائيلية، وحدها، فلا تنكسر، بل تنكسر هي معترفة، فتخرج أنت منحصراً عام 2006. أن تُعيد أسراك و«أسرى الآخرين» من سجون المحتل، مرة تلو أخرى، باحتفالات «كابيتولينية» يراها العالم مباشرة. أن تطلق وراء «المشروع الداعشي» خارج حدودك وداخلها، فتُجنز، تنكسر في مواجهات أعيت جيوش دول، فتبدو وكأنك تُحارب العالم ليس مُهماً كيف تصف نفسك، أنت، بأنك «الست طائفتاً». بعض الآخرين يرونك كذلك. بعضهم معك، في خياراتك العسكرية

كلها، إلا أنك في نهاية الأمر «آخر» في عمق وجدانهم. لا يخلو الأمر من استثناءات، حتماً، لكن ما الاستثناء إلا دليل ثبوت القاعدة. بلغة الطوائف اللبنانية، كانت كل طائفة، منذ بداية الحديث عن كيان لبناني، تستثمر إنجازاتها



ربما لم تخرج الطائفة بعد في لوعيتها الجمعي من تلك الوصمة الطبقيّة تاريخياً



الداخلية، وأحياناً الخارجية، في بنية المجتمع اللبناني. المارونية السياسية فعلتها. أنتجت حرباً أهلية في النهاية. السنة السياسية فعلتها. أنتجت تصدعاً و«إحباطاً» تعيش آثاره اليوم. لا أحد يتحدث عن الدرزية السياسية، وهذا لأسباب ديموغرافية، لكنها حصلت وأنتجت، لكن على نطاق محدود. أنتجت «فائدة» داخل بيئتها. كل هذه

التجارب أنتجت «فوائد» (بمعنى ما) لبيئتها. بعض تلك الفوائد أصبح عرفاً دستورياً لا يمكن المس به. لا يُمكن الهمس عنه. ماذا عن الشيعة السياسية؟ هل من شيعة سياسية أصلاً؟ هذه التهمة من «الآخرين» التي يعتب بعض شيعة لبنان على الأحزاب الشيعة لأنها لم تمارسها حقاً. كيف تُرجمت كل تلك «الانتصارات الشيعة» في الداخل؟ في الكهرياء مثلاً؟ أسوأ تغذية كهربائية في لبنان هي من حصة المناطق الشيعة. أسوأ ترسيخ البديلة من الدولة، بما فيهاها وأبوابها، تجدها في المناطق الشيعة. في قطاعات العمل؟ شهد العقد الماضي ولادة «قطاع عمل» جديد اسمه «الغالبية باركينغ». من يتألف هذا «الجيش» الذي يُتقن ركن سيارات الأترياء؟ إنهم بغالبيتهم من الشيعة. حراس شركات الأمن (المدنية) للمؤسسات والشركات و«المولات» الكبرى، هؤلاء الحراس الذين يرتدون ثياباً أشبه بتياب في الكشافة، هؤلاء أصحاب الدخل الزهيد، إنهم، في العاصمة، من الشيعة بأكثرية. من الذي يُعاني، أكثر من سواه، وفق التصنيف الطائفي، من أفة المخدرات؟ إنهم من الشيعة. أوراق محاكم الجنايات في

المناطق تؤكد ذلك. تلك البيعة ليست بخير حتى تحسد من قبل أحد. تتشارك مع كثيرين «تعتيرهم»، لكن مع فارق أن فرداً يُحسد على «تعتيره». يُشعر الفرد الشيوعي بما يُسمى فائض القوة... لكن غير المُستثمر في الداخل. لا مكان لصرفه، في المعيشة، في الرخاء (ولو النسبي مقارنة). تغيّر الكثير عن زمن «أبو ذئب» وزمن «عائلة البور» و«الشياطين» و«البيوجية» في وسط بيروت، ذلك حقبة خمسينيات القرن الماضي وستينياته وسبعينياته، إلا أن الطائفة لم تخرج بعد، ربّما في لوعيتها الجمعي، من تلك الوصمة الطبقيّة تاريخياً. أن تكون شيئاً تعيش في الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث قلعتك الحصينة، حيث يكاد ينقطع النفس، حيث يكاد العيش يُصبح غير صالح بشرياً، يُمكن أن تُضرب وتُكسر عظام وجهك على أيدي «زعران» من أبناء هذه العشيرة أو تلك. أن ترى هناك عند الخامسة عصراً، يوم الثلاثاء الماضي، شباناً يعتدون على رجل أربعيني أمام طفله الصغيرة وزوجته الحامل، وسط الشارع، قرب حاجز الأمن العام، فيغرق في دمائه ولا يقترب أحد للمساعدة. كل ما لدى رجل الأمن، عند الحاجز، أن يقول للمضروب:

«التيار» لن يُرشح أحداً ضد أسعد حردان



قائمه: سُرّش في الجنوب وبعيلك - الهرمل، الممت الشمالي، والكورة وعكار وعاليه - الشوف (هيثم الموسوي)

«هايسترو» العلاقة بين التيار الوطني الحر والحزب السوري القومي الاجتماعي. هو حزب الله. وجوده الشعبي في عدد من الدوائر. يمنح العونيين من ترشيح أحد ضد «القومي». حتى ولو كان الأخير سيواجه الوزير جبران باسيل في عُقر داره

ليا القرني

كان جبران عريجي رئيساً للحزب السوري القومي الاجتماعي حين زاره وفد من التيار الوطني الحر، قبل أشهر من عودة العماد ميشال عون من منفاه الفرنسي عام 2005. سُرب الخبر إلى الإعلام، في وقت لم يكن فيه التيار العوني قد أعلن عن أي لقاء مع فريق سياسي حليف للنظام السوري. ومن حينه، بدأت العلاقة بين الاثنين، لتستكمل تحت عباءة حزب الله، وتفاهم قوي 8 آذار، مع الإشارة إلى أن التعاون بين العونيين والقوميين يسبق عام 2005 بكثير. فزمن الحرب بين الجيش اللبناني وميليشيا القوات اللبنانية، مدت قيادة القومي في الممت الشمالي عون بالمساعدات ضد خصومه. وبعد الانسحاب السوري من لبنان، اقتنع القوميون بأن ميشال عون جزء من «قضية وطنية»، التحالف معه أساسي لمصلحة الحلف الاستراتيجي. لم يابهوا لكون نظرة العونيين إليهم كانت دائماً بوصفهم حليفاً من الفئة الثانية. التزمت قيادة الروشة بخيارها، وصولاً إلى انتخاب عون رئيساً للجمهورية، على حساب «الحليف الثابت»، النائب سليمان

فرنجية. فهل سينكسر هذا الحلف في الانتخابات النيابية في أيار 2018؟ غالبية الأحزاب والتيارات السياسية حسمت أن التحالفات ستكون «على القطعة»، بعد أن انتفى الخطاب السياسي الذي على أساسه كانت تُخاض الانتخابات، وياتت تتقدم المصلحة في البحث عن تحالفات تؤمن أكبر عدد ممكن من النواب لكتلة نيابية ما، حتى لو لم يكن بين القوى المتحالفة أي رابط سياسي أو برنامج للمرحلة المقبلة.

خاض التيار العوني والحزب القومي معارك انتخابية معاً، وإن كان القوميون يتحدثون عن ملاحظات عدة، تبدأ بأن العونيين في الممت الشمالي تركوا عام 2005 مقعداً شاغراً على لأحتهم لمصلحة النائب بيار الجميل، ثم عدم السعي لإنجاح النائب «القومي» السابق غسان الأشقر عام 2009 (رغم أن الأرقام تُظهر غياب أي «تشطيط» عوني للأشقر)، وصولاً إلى عدم تفعيل العونيين ماكينتهم الانتخابية دعماً للمُرشح «القومي» خلال انتخابات الكورة الفرعية، عام 2012. الحسابات الانتخابية، وتحالفات العونيين المستجدة، وعلاقات «القومي» الثابتة، ربما ستفرض تباعداً انتخابياً بين قبادتي الراية (سابقاً) والروشة. وفي تلك الحالة، التنافس سيكون فاقعاً أكثر من غيره، في دائرة الشمال الثالثة (البيرون، الكورة، بشرى، زغرتا)؛ فالحزب القومي، إذا لم تتبدل الوقائع، سيتحالف مع تيار المردة ويدعم طوني سليمان فرنجية، مواجهاً رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل في عُقر داره. هذا الأمر قد يُؤثر العلاقة بين الطرفين، وينسحب سلباً على الدوائر الأخرى، كالممت الشمالي، وعكار، والبقاع الغربي، وزحلة، وبعيلك - الهرمل، والنبطية - بنت جبيل. مرجعيون. حاصبيا. في هذه الدائرة تحديداً، ما الذي سيمنع

وزير الخارجية من رد الصاع لقيادة القومي التي حرمتها من أصواتها في الدائرة التي سترشح عنها، ويُرشح التيار العوني شخصاً بوجه النائب (والرئيس السابق لـ «القومي» وأحد أبرز قياداته) أسعد حردان؟ تبدأ مصادر في تكثّل التغيير والإصلاح حديثها بأن الاحتكاك بين «التيار» والحزب القومي هو في الكورة، والممت، وبعيلك - الهرمل، والنبطية - بنت جبيل - مرجعيون - حاصبيا. «قاعدة القوميين الأساسية هي في الكورة والممت». في حال تحالف تيار المردة مع القوات اللبنانية في دائرة الشمال الثالثة، «من الممكن أن تكون حينها مع القومي». وفي هذا الإطار يتحدث مقرّبون من رئيس تيار المردة سليمان فرنجية عن كون القومي سيكون حتماً في صف



الإشكالية الحقيقية بين العونيين والقوميين هي في الدوائر حيث لحزب الله نفوذ



التيار الوطني الحر في دائرة الشمال. ويلفت هؤلاء إلى كون هذا السيناريو لمصلحة القومي والمردة معاً، لأنه سيتيح لهم التنافس على مقعدين في الكورة بدل التنافس على مقعد واحد

فيما لو كانا معاً، وتلفت مصادر في فريق 8 آذار إلى أن التقارب بين المردة والقوات، ولو لم يتحول إلى تحالف انتخابي، سيبيد بين المردة والقومي. أما دائرة الممت، فترى مصادر العونيين أنها «المكان الحقيقي لقياس قوة التحالف مع القومي من عدمه. قد يكون المخرج ترشيح شخص كفاي عبود، مقبول من القاعدة». الإشكالية الحقيقية، التي تتحدث عنها المصادر العونية، «هي في الدوائر حيث لحزب الله نفوذ قوي. لا الحزب حسم كيفية مقاربتة ملف الانتخابات، ولا نحن وضعنا نظرتنا النهائية أيضاً». ولكن مواجهة القوميين في مرجعيون «تعني الاصطدام مع حزب الله، فهل سنأخذ هذا القرار؟»، تسأل مصادر عونية نيابية، مُستبعدة ذلك لأن